مرات وجريدة « النهار » ٩ مرات . أما مجلة « الحرية » اللبنانية وهي المجلة الرسمية لحركة القوميين العرب سابقا والناطقة باسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين فيما بعد ، فتعامل معها مرة واحدة فقط . رحم الله الشقيري الذي كان والكيان الفلسطيني وعيا وعملا توأمان ، فلم ينل فكره وتجربته وانجازاته بعجرها وبجرها من اهتمام الشعيبي الذي خانته قدرته على الانصاف ، الا أقل مما نالته جريدة « الحياة » او جريدة « الاهرام » وحتى الصحف الصهيونية بل وحتى الاخ ابو طعان . أيمكن لدراسة جادة لمثل موضوع كهذا ان تكون منصفة (كما وعدنا الكاتب في مقدمته ، ولم يفلح) لمراحل تطورات الوعي الكياني وحملته ، باعتمادها على مصادر ثانوية مثل الجرائد اللبنانية والمصرية والاردنية والصهيونية ، والمكتبات الخاصة والعامة متخمة بالمصادر الاصيلة لكل الاطراف ، واصحابها الفاعلون لا زالوا أحياء يرزقون ؟ الامانة تقتضي من المؤلف الاقتراب من كافة الآراء والاتجاهات والوقائع التي يقدمها الواقع الفعلي والتعامل معها دون ان يجد حرجا في ذلك ، لان هذا الاقتراب وحده هو الذي ينقله من مضائق التحيز الى رحاب الموضوع .

٣ ـ والملاحظة السابقة تقودنا فورا الى التساؤل عن مدى صلاحية الادبيات السياسية الرسمية المنشورة وحدها لقياس تطور واتجاهات الوعي الكياني او اي وعي آخر لشعب من الشعوب . فالوثائق السياسية المنشورة ليست كل الوثائق الصادرة عن كل الاطراف اولا ؛ وثانيا ، فإن بعض هذه الادبيات السياسية المنشورة والمقابلات الشخصية تفوح برائحة الرياء السياسي الذي يُهبطها من مرتبة الوثيقة الى مرتبة المنشور الدعائي . وبالتأكيد فإن الخلل في كفاية المصادر اللازمة لتتبع الوعي محتوى واتجاها وعمقا ، يزداد وضوحا عندما نعلم أن الكاتب لم يقترب إطلاقا من الادب الفلسطيني نثرا وشعرا ولا من الفن الفلسطيني بكافة أشكاله ، وهي اكثر من الكثير واغنى من الغنى بموضوع البحث . كل هذا المنجم اهمله الشعيبي ، بل أفلت من قبضته اثناء ملاحقته التطورات وإعادة توجيهها . حتى تكون لدى الكاتب حقائق ومعلومات تكفيه لابداء الرأي عليه التعامل بانصاف مع المصادر الرئيسية لموضوعه ، وهي الادبيات السياسية المنشورة وغير المنشورة ، الادب والفن الفلسطيني ، وتدعيم كل ذلك بالمقابلات المقننة مع عينة عشوائية من عامة الفلسطينيين ومع ممثلين رسميين لكافة التيارات السياسية الفلسطينية العاملة في المرحلة موضوع الدرس ، وكل تلك المصادر يجب ان تشمل كل اماكن تجمعات الشعب الفلسطيني سواء في وطنه او في الشتات . او فليتواضع عنوان الكتاب ؛ كالقول مثلا : « الكيانية الفلسطينية والوعي .... في الادب السياسي الفلسطيني » فقط ، الخ ... والا فإن النتائج تهبط دون مستوى الغرض .

٤ ـ لقد تحاشى المؤلف دور الاساس الواقعي الاجتماعي ـ الثقافي للوعي بالذات ، وسواه من النماذج المطابقة لوعي الجماعات . فعلى ما يبدو فان الشعيبي من انصار المدرسة المثالية الذين يقولون بالذات العارفة التي لا تخضع لأي تأثير اجتماعي ـ اقتصادي ـ ثقافي ، والتي هي بالضرورة من صنع النخبة بين الجماهير . ليس تكرارا القول هنا ، بأن عجز هذه المدرسة واضح عن الوصول الى نتائج منهجية دقيقة يمكن على أساسها معرفة الروابط التي تشد على ارضية علمية الاشكال المختلفة والمعقدة للوعي الى الشروط الاجتماعية المشخصة المطابقة لها . كان هذا ممكنا للباحث لو درس موضوعه من منظور سوسيولوجي ؛ لان وعي اي جماعة لا يمكن ان يدرس تحليليا الا بربطه مع الانتاج المادي والفكر الخاص به ، ومع التشكيلات الاجتماعية ـ الاقتصادية المحيطة بها . فالوعي وتجسيداته من هذا المنظور يفهم كنتاج لجملة تلك الظروف المؤثرة في نشوئه وتطوره . فالى جانب الوسط الاجتماعي بانتاجه المادي والفكري كعامل محدد ، هناك أيضا الوسطان الطبيعي والتاريخي .

وما دام الفلسطينيون كغيرهم من الجماعات ، فإن هذا المنظور الى وعيهم الواقعي كان لا بد من ان يغني فهمنا بواعث الفعل لديهم، ولا بد بالتالي من ان يعطينا فكرة واضحة عن الوعي الجماهيري الحقيقي في اوساطهم ، والذي غدا مع الايام قوة مادية جارفة . إن هذا التقصير في دراسة الظاهرة موضوع البحث ، في مستوييها المعرفي والسوسيولوجي ، سرعان ما يظهر حينما كان يضطر الكاتب الى تفسير حوامل هذا النوع من الوعي الاجتماعي ومحتواه ودوره في الحياة الاجتماعية للفلسطينيين . فمن المعروف ان قوة الوعي لا تكمن فيه ، بقدر ما تكمن في حامليه ، اي اولئك الذين إكتسبوه ليقودهم . فدور هذا الوعي في حياة البشر لا يبقى هو نفسه في كل